BUILDEXONLINE
الموقع العربي الأول المتخصص في البناء والعقارات

هل نقوى أن نستعيد الغوطة؟!

كان مفاجئاً أن نسمع أن الأراضي التي تروى بمياه الصرف الصحي المعالجة في محطة عدرا دون مصارف مما أدى الى ارتفاع منسوب المياه الجوفية في الأراضي المروية سواء في أجزاء من غوطة دمشق أو في الأراضي البعلية سابقاً خارج الغوطة. لقد عرفنا مشكلة ارتفاع منسوب المياه الجوفية في الأراضي المروية في حوض الفرات، بسبب الري بالغمر أو التطويف وغياب المصارف، ونستغرب الظاهرة الجديدة في الـ ١٨ ألف هكتار وهي مساحة التي ترويها خمس أقنية تنهل من الماء النظيف الصالح للري حسب المواصفة السورية الناجم عن معالجة ٧٥٠ ألف متر مكعب من مياه الصرف الصحي لمدينة دمشق في محطة عدرا. إن أراضي الغوطة مروية تاريخياً بمياه بردى قبل جفافه في السنوات القليلة الماضية «وهو غالباً ما يعود غزيراً ويبث الحيوية والنشاط في حركة فلاحي الغوطة مرة أو مرتين كل عشر سنوات». وصحيح أن الآبار تجف ويضطر الفلاحون الى تعميقها عدة أمتار كل عام، لكن هذا يعني أن الري مستمر وبالغمر، فلماذا لم يرتفع منسوب الماء الجوفي، بل إنه ينخفض؟. ربما كان الجواب على هذا السؤال الأخير ان كميات المياه الآن كبيرة جداً بالمقارنة مع المساحة المحدودة التي تصل اليها أقنية الري. لماذا لم نستفد من تجاربنا؟ مررنا بحالات مماثلة ولا نزال نواجه مثل هذه الوقائع في حوض الفرات، ولا سيما في الرقة ودير الزور. وفي مواجهة ارتفاع منسوب المياه الجوفية تم حفر آبار نضح عمودية تسحب الماء من جوف الأرض وتسكبه في النهر. ولاجتثاث الظاهرة من جذورها جرى شق أقنية صرف مكشوفة ومغطاة تبدد الماء الزائد عن حاجة النباتات الى الري، وترمي به بعيداً في الوديان والأراضي القاحلة. صرخة من المليحة!! وتستغيث المليحة من خطر الجفاف.. ان الفلاحين هناك يضطرون الى تعميق الآبار، اذ اختفى النهر تماماً وغابت مياه المجارير وذهبت ضمن الأنابيب الى محطة عدرا. أين الخط الراجع؟ إن سر هذه الصرخة إنما يكمن في عدم تنفيذ الخط الراجع من عدرا الى الهامة، ومن المؤسف أننا نعثر دائماً على مسوغات للاهمال أو لعدم تقدير العلم ودراساته. قد نصت دراسات مشروع مجارير دمشق ومحطة معالجة الماء الأسود على ضرورة شق قناة أو مد أنابيب لنقل متر مكعب في الثانية من المياه المعالجة في محطة عدرا الى بلدة الهامة في ريف دمشق. المصمم لم يكن يلعب عندما نص على هذه القناة، وهي احياء لبردى، اذ تسكب في مجراه- التاريخي- متراً مكعباً من المياه في الثانية، وهذه الكمية تعادل غزارة نهر بردى في الصيف يوم كان يقوى على الوصول الى -المرجة- وكان الأولاد والشبان يسبحون في مجراه تحت أغصان أشجار الصفصاف في الربوة. كيف أهملت محافظة مدينة دمشق صاحبة هذا المشروع، تلك القناة وحرمت دمشق من بردى والغوطة من ماء يبقي على الجوز واللوز والخوخ والمشمش. لا عذر لمن فعلوا ذلك فمن أنفق على مشروع مجارير دمشق عشرة مليارات ليرة سورية لم يكن عاجزاً عن بناء قناة أو مد أنابيب بعشرات ملايين الليرات السورية من عدرا الى الهامة لاحياء نهر والابقاء على غابه مثمرة. فقدت ٦٣٪ من مساحتها الخضراء!! لم تقتصر معاناة الغوطة على الجفاف وشبح الملوحة، فلقد فقدت هذه الرئة لمدينة دمشق ٦٣٪ من مساحتها الخضراء خلال ٢٨ سنة، أي في الفترة ما بين ١٩٧٨ و٢٠٠٥ حسب دراسة قدمها المهندس مالك حداد أحد العاملين في مشروع INECO بالتعاون ما بين وزارة الري في سورية والمفوضية الأوروبية. وجاء في تلك الدراسة أن كل ألف وحدة سكنية تأوي ٢٧ ألف ساكن تحتاج الى ماء يكفي لري ألف هكتار من أراضي الغوطة!!. إن زحف المساكن على الغوطة مخيف ومن يذهب اليوم الى المليحة وكان يعرفها قبل نصف قرن يندهش تماماً، فتلك القرية ذات البيوت العشرة آنذاك أصبحت اليوم مدينة ذات بنايات شاهقة وشوارع وحارات مزدحمة بالشقق السكنية والمحال التجارية والورش، إنه خطأ في الاتجاه اذ بدلاً من الذهاب الى عدرا وطريق حمص ودمشق القاحل لاحيائه قمنا بإفناء الغوطة والقضاء عليها، ولن تسامحنا الأجيال القادمة، إلا اذا استعدنا روح التشجير وعزيمة إيقاف البناء على الأرض الزراعية عفواً على رئة دمشق!!.

البعث – ميشيل خياط – ١٦-٩-٢٠٠٧

www.buildexonline.com